بغداد مستعدة لفصل جديد من العلاقات الامريكية العراقية

الكاتب:
سرهنك حمه سعيد
مدير برامج الشرق الأوسط في معهد الولايات المتحدة للسلام في واشنطن

المصدر:
معهد الولايات المتحدة للسلام
https://www.usip.org/publications/04/2024/baghdad-ready-new-chapter-us-iraq-relations

التاريخ:
25 نيسان 2024

ترجمة وتحرير:
المعهد العراقي للحوار - فيصل عبد اللطيف

ملخص تنفيذي

أظهرت زيارة السوداني الى واشنطن والتي رافقه فيها أكبر وفد أرسله العراقيون إرادة عراقية لبدء فصل جديد في الشراكة الاستراتيجية تتجاوز في ابعادها الجانب الأمني. وتظهر رمزية الزيارة ـ من توقيتها مرورا بمسارها وانتهاءً بحجم الوفد ـ رغبة بغداد التركيز على ميادين الاقتصاد والتعليم والدبلوماسية الشعبية. لم يفوت السوداني أي فرصة لإظهار جديته حول تلبية احتياجات الناس وتعزيز قوة الدولة العراقية وسيادتها وسعيه لوضع المصالح المشتركة كأساس للسياسة الخارجية, مقرا بالدور الموازن الذي يجب ان يلعبه العراق بين إيران كدولة جارة والولايات المتحدة كشريك استراتيجي. يرى الكثيرون ان السوداني يمثل رغبة عراقية نحو بناء دولة عراقية قادرة وفاعلة وساعية الى عدم تكرار الصراعات الدموية التي شهدها العراق في الماضي وان يصبح العراق فاعلا ايجابياً على الصعيدين الإقليمي والدولي. ان تغير الزمان ودعم الإطار التنسيقي الى زيارة السوداني وحرصه الشخصي يمكن ان يقدم فرصة كبيرة للنجاح غابت خلال الفترات المنصرمة. الا ان الكرة لا تزال في ملعب العراق لخلق الظروف التي ستجعل من البلاد بيئة جاذبة للشركات الامريكية للعمل والاستثمار في العراق بشكل امن.

التقى رئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني في الأسبوع الماضي الرئيس الأمريكي جو بايدن في البيت الأبيض كجزء من زيارة استمرت لمدة أسبوع تهدف الى تعزيز العلاقات الثنائية بين البلدين. لقد جاءت هذه الزيارة في خضم ذكريات سنوية لتطورات واحداث خطيرة عصفت في الشرق الأوسط. فشهر نيسان من هذا العام يؤشر الذكرى الحادية والعشرون لإسقاط نظام صدام حسين. منذ عام 2003, شهدت العلاقات العراقية الامريكية العديد من التقلبات صعودا وهبوطا. حتى مع بقاء التوترات في محلها, تحديدا فيما يتعلق بتواجد القوات الامريكية في البلاد, أظهرت زيارة السوداني التي رافقه فيها أكبر وفد أرسله العراقيون الى واشنطن إرادة عراقية لبدء فصل جديد في الشراكة الاستراتيجية والتي تتجاوز في ابعادها الجانب الأمني.

التوقعات التي أحاطت بزيارة السوداني انخفض سقفها حتى قبل وصوله الى واشنطن نظرا لتأثير حرب غزة وهجمات الفصائل المسلحة العراقية على القوات الامريكية في العراق وسوريا والأردن, والتي تسبب أحدها في قتل ثلاثة أعضاء من هذه القوات واستدعت ردا انتقاميا أمريكيا نجم عنه قتل قادة لهذه الفصائل المسلحة.

+9647905400123
Head@hewariraq. com

لكن, وبالرغم من ذلك, جاء السوداني الى واشنطن برفقة أعضاء من كابينته الحكومية ومستشارين كبار وأعضاء من مجلس النواب ورجال اعمال ومحللين اعلاميين. سافر السوداني الى تكساس وميشغان للقاء شركات أمريكية وعراقي المهجر, مشجعا إياهم للمشاركة في بناء العراق وتعزيز العلاقات مع الولايات المتحدة. خلال هذه الزيارة, التأمت لجنة التنسيق العليا بين العراق والولايات المتحدة الخاصة بتفعيل اتفاقية الإطار الاستراتيجي لعام 2008, وتعد أحد اطر عمل العلاقات الثنائية بين البلدين.

وتظهر رمزية الزيارة ـ من توقيتها مرورا بمسارها وانتهاءً بحجم الوفد ـ رغبة بغداد التركيز على ميادين الاقتصاد والتعليم والدبلوماسية الشعبية. واثناء زيارة السوداني, كرر مسؤولون امريكيون التزامهم ببناء علاقة شاملة مع العراق.

المواجهة والتعاون الامني

ان رئيس الوزراء العراقي واقع تحت ضغط داخلي وضغط إيراني لإنهاء او تقليص وجود القوات الامريكية والتحالف الدولي ضد داعش بشكل كبير. هذا الضغط يعود الى فترة تسبق تسلم السوداني لرئاسة الوزراء, وهو يسعى الى التعامل مه بطريقة لا تشغله عن تحقيق أهدافه السياسية والاقتصادية.

لقد أسس العراق والولايات المتحدة في شهر اب من العام الماضي اللجنة العسكرية العليا من اجل تقييم تهديد داعش وتقييم بيئة العمليات والقدرات العسكرية للقوات الأمنية العراقية. ان الهدف وراء تأسيس هذه اللجنة هو الاتفاق على الانتقال من مهمة التحالف بالضد من داعش الى علاقات امنية ثنائية بين العراق والولايات المتحدة ودول التحالف الأخرى. سينتج عن هذا اللجنة تقييم فني يمكن الإفادة منه سياسيا للإبقاء او لتخفيض وجود القوات الأجنبية في البلاد. وما هذا الامر الا جزء من جهد أوسع للانتقال الى علاقات ثنائية طبيعية.

حتى إذا ما تطورت الروابط بين البلدين الى علاقة ثنائية طبيعية لا تركز فقط على المجال الأمني, من الممكن ان تقرر بعض الفصائل المسلحة مهاجمة المصالح الامريكية في العراق. وليس مستبعدا ان تعمل جماعات مسلحة على تقليص الوجود الدولي في العراق ـ بما في ذلك بعثات الأمم المتحدة ـ كسبيل للضغط بشكل أكثر يسرا على الولايات المتحدة وغيرها من الفواعل ولتقليص الوجود الأجنبي الذي يقوض من مصالح هذه الجماعات. في تصريح علني له اثناء لقائه بالسوداني, أكد بايدن التزام الولايات المتحدة بحماية البعثات الامريكية وشركاء

الولايات المتحدة بما في ذلك العراق.

الاقتصاد, الاستقلال في مجال الطاقة, والبيئة

لقد صار الاقتصاد العراقي والقطاع المالي مجالا أساسيا للتوتر في العلاقات العراقية مع الولايات المتحدة, تحديدا في اعقاب الجهود الإيرانية للالتفاف على العقوبات الامريكية عن طريق العراق. صار العراقيون يطلقون على بلادهم الرئة الاقتصادية لإيران. ولفترة طويلة الان, لا تزال الخزانة الامريكية تضغط على البنك المركزي العراقي لتوسيع المنصة الاليكترونية لتشمل النظام المصرفي العراقي بأكمله من اجل المساعدة في منع تهريب الدولار الأمريكي الى إيران وغيرها من الوجهات. وقام السوداني بتوظيف هذا الضغط للقيام بإصلاحات في داخل القطاع المصرفي. ووقع العراق العديد من مذكرات التفاهم مع شركات أمريكية مثل جينرال الكتريك و كي بي ار وهني ويل وغيرها. ان تحديث القطاع المالي والمصرفي هو امر حيوي لتنفيذ مذكرات التفاهم هذه ولتطوير القطاع الخاص بشكل عام.

يعتمد العراق على واردات الطاقة من إيران, تحديدا الغاز الطبيعي للكهرباء ووقود السيارات. في الواقع, يخسر العراق أكثر من ثلاثة مليارات دولار سنويا بسبب حرق الغاز المصاحب والذي يحرق اثناء عملية انتاج النفط وينفق نفس هذا القدر من الأموال على استيراد وقود السيارات. لذا فان تحقيق الاستقلال في مجال الطاقة سيقلل من اعتماد العراق على إيران ويوفر للعراق أكثر من سبعة مليارات دولار سنوياً, وهي أموال يحتاجها العراق بشكل ماس لتمويل عملية التنمية فيه. استجابة للضغط الأمريكي, استدعى العراق شركات دولية لدعم سعيه في استخراج وتوظيف الغاز المصاحب وتتوقع بغداد بانها ستتوقف عن الحاجة لاستيراد الغاز بنهاية العام الجاري. كذلك ابدى العراق اهتمامه بالاستخدام السلمي للطاقة النووية.

من الإبادة الجماعية الى الديمقراطية

يؤشر نيسان أيضا الذكرى السنوية السادسة والثلاثون لعمليات الإبادة الجماعية التي قام بها صدام والمعروفة بعمليات الأنفال بالضد من الكرد في عام 1988 والذكرى السنوية العاشرة لسيطرة داعش على ثلث الأراضي العراقي وارتكاب التنظيم جريمة الإبادة الجماعية بحق الايزيديين وغيرهم من المكونات المجتمعية العراقية في أشهر قليلة. أكثر من قرنين ونصف القرن فصلت هذين الحدثين اللذان قرعا ناقوس الخطر في جميع ارجاء العالم وأبرزا الفكر الاجرامي الذي حفزهما.

اشتملت بعثة السوداني على ممثلين من حكومة إقليم كردستان ومستشاره لشؤون الايزيديين, وهي مؤشرات إيجابية تدل على مسعاه لإشراك الجميع في عملية الحكم. خلال لقاءاته, كرر رئيس الوزراء بانه يسعى الى حل الخلافات بين الحكومة العراقية المركزية وحكومة الإقليم بما في ذلك ما يتعلق بسلطات كل منهما على عوائد النفط والغاز. وقال رئيس الوزراء بان هذه الخلافات والحواجز في العلاقة هي خلافات مؤسساتية وقانونية وليست سياسية وتعهد السوداني باستكمال مساعيه لإيجاد طرق لتحقيق تقدم في هذا المجال. الزعماء السنة والكرد وقادة الأقليات الدينية والعرقية يؤمنون بان السوداني صادق في نواياه حتى مع استمرار لاعبين سياسيين اخرين بإعاقة تحقيق تقدم استراتيجي حقيقي في مجالات مثل قانون المجلس الاتحادي وقانون النفط والغاز الوطني.

سعي العراق للاندماج في خضم الاضطراب الاقليمي العراق

تأتي زيارة السوداني الى واشنطن في وسط اضطراب إقليمي توسع مداه بعد الحرب على غزة ليمتد الى العراق ولبنان وسوريا والأردن واليمن والبحر الأحمر. في الرابع عشر من شهر نيسان, شنت إيران هجوما على إسرائيل مستخدمة أكثر من 300 طائرة مسيرة وصاروخ. العديد من هذه الصواريخ والمسيرات «ان لم يكن جميعها» عبرت المجال الجوي العراقي, الامر الذي كشف وجود مواطن ضعف امنية وسيادية تحتاج البلاد العمل على إصلاحها. قامت كل من إيران وتركيا باستهداف عمق منطقة كردستان العراق باستخدام المسيرات والصواريخ في الوقت الذي لم يستطع فيه العراق رصد او الرد على هذه الهجمات بسبب النقص في قدرات الدفاع الجوي اللازمة. في يوم 21 نيسان, هاجمت فصائل مسلحة عراقية القوات الامريكية في سوريا بعد يوم واحد من عودة السوداني الى العراق.

لم يفوت السوداني أي فرصة لإظهار جديته حول تلبية احتياجات الناس وتعزيز قوة الدولة العراقية وسيادتها وسعيه لوضع المصالح المشتركة كأساس للسياسة الخارجية, مقرا بالدور الموازن الذي يجب ان يلعبه العراق بين إيران كدولة جارة والولايات المتحدة كشريك استراتيجي.

يرى الكثيرون ان السوداني يمثل رغبة عراقية نحو بناء دولة عراقية قادرة وفاعلة وساعية الى عدم تكرار الصراعات الدموية التي شهدها العراق في الماضي وان يصبح العراق فاعلا بناءاً على الصعيدين الإقليمي والدولي. استطاع السوداني ان يحظى باحترام العديد من العراقيين والزعماء الأجانب والمراقبين للشأن العراقي كشخص صادق وقادر على المضي بالبلاد الى

الامام. لقد تبنى السوداني مشروع طريق التنمية بحماس شديد ـ وهو خطة لبناء شبكة نقل تربط اسيا واوربا عن طريق الخليج والعراق وتركيا ـ من اجل ربط المصالح الاقتصادية المحلية والإقليمية والدولية معا ولزيادة فرص العمل والاستثمار والنمو الاقتصادي.

لماذا ينبغي على الولايات المتحدة الاهتمام بالعراق

تعكس التحديات التي يمر بها العراق عددا من مصالح الامن القومي الأمريكي الرئيسية كالجهود الرامية الى تعزيز الديمقراطية, استغلال العلاقة بين المناخ والطاقة, المنافسة الإقليمية والدولية, والتطرف العنيف. لقد استثمرت الولايات المتحدة في كثيرا في تأسيس نظام ديمقراطي في العراق. وشركاء الولايات المتحدة العراقيون يطلبون من الولايات المتحدة عدم التخلي عن هذا النظام. العراقيون تبنوا الديمقراطية وفي الوقت الذي كانت تنزلق فيه هذه الديمقراطية على المستوى المؤسساتي, لا يزال العراقيون ـ خاصة الشباب الذين يمثلون «الطاقة المتجددة» للبلاد ـ يحملون الامل بان يمتلكوا يوما ما نموذجهم الخاص من الحكم الديمقراطي الدستوري الراسخ.

لقد ظهر السوداني من رحم العملية الديمقراطية الوليدة في العراق وامامه اليوم فرصة للمضي بها قدما. وبالنسبة للعراقيين, فانه يعني لهم الكثير كون السوداني لم يعش حياته خارج العراق وانه تدرج في مسيرته في عراق ما بعد 2003 كمحافظ ثم كوزير ثم كعضو مجلس نيابي والان كرئيس وزراء.

تشير التوقعات الى ان العراق سيكون من بين أكثر خمسة بلدان في العالم تأثرا بالتغير المناخي, وهو امر يهدد الامن المائي والغذائي لأكثر من 43 مليون عراقي, والذين يتوقع ان يبلغ عددهم 80 مليون بحلول عام 2050. بمساعدة من الشركاء الدوليين, بدأت الحكومة العراقية والمجتمع المدني العمل على التخفيف من وطأة اثار التغير المناخي والتكيف معه, لكنهم لا يزالون بحاجة الى التقنية والمعرفة من الولايات المتحدة. ومع ارتفاع مستويات ندرة المياه, فان الحكومة العراقية بحاجة استراتيجية شاملة وجهد يتناسب مع الواقع المناخي والتغير البيئي. مثل هكذا تكيف هو امر حيوي لاستقرار البلاد ولنموها الاقتصادي.

ان الصين هي لاعب اقتصادي بارز في العراق. في عام 2021, كان العراق المستفيد الرئيس من الأموال المخصصة لمشروع الحزام والطريق. وبكين مستورد رئيس للنفط العراقي ومنخرطة بشكل كبير في العملية الإنتاجية والتحويلية للنفط بمجملها عن طريق الاتفاقية الصينية العراقية

التي كانت تعرف سابقا باتفاق النفط مقابل إعادة الاعمار. خلال زيارته الى السعودية في عام 2022, قال الرئيس الأمريكي جو بايدن, «لن نغادر ونترك فراغا لتملأه الصين, روسيا, او إيران. وسنسعى الى الإفادة من زخم هذه اللحظة بقيادة أمريكية فاعلة ومبدئية.»

لقد تراجع تهديد داعش اليوم بشكل كبير, ويعود ذلك بجزء منه الى الشراكة الامريكية العراقية. وستقدم اللجنة العسكرية العليا إجابات حول موقف التهديدات وما هي احتياجات العراق الضرورية للتصدي الى هذه التهديدات. ومهما يكن من الامر, من الواضح ان عودة وإعادة توطين حوالي عشرون ألف عراقي من سكان مخيم الهول في شمال شرق سوريا الى مواطن عيشهم هو امر ملح لأسباب إنسانية ولأسباب تتعلق بالمصالح الأمنية القومية للعراق والولايات المتحدة.

العراق أيضا بحاجة الى استقرار أسواق الطاقة العالمية, فهو يمتلك خامس أكبر احتياطي للنفط وهو احد اكبر ثلاثة منتجين للنفط ضمن منظمة أوبك. ويتطلع العراق أيضا الى ان يتحول الى لاعب في قطاع انتاج الغاز. من جانب اخر, تثمن الولايات المتحدة دور العراق المحوري في الاستقرار الإقليمي.

المضي قدماً

ان النظر موضوعيا الى زيارة رئيس الوزراء محمد شياع السوداني ومخرجاتها يظهر تقدما في العديد من المجالات: فهي إعادة تأكيد المصلحة الثنائية المشتركة في تعزيز وتوسيع العلاقات بين الطرفين في الوقت الذي تنزلق فيه المنطقة نحو صراع أوسع, وحددت الزيارة بشكل صريح احتياج العراق واهتمامه بالشركات والتكنلوجيا والتعليم الذي تمتلكه الولايات المتحدة, وان العراق سيرتقي فوق صعوبات الماضي والحاضر في الوقت الذي يلعب فيه دور الموازن بين العديد من المصالح والفواعل المتنافسة.

ومن الواضح بان هنالك العديد من مجالات المصالح المشتركة بين الولايات المتحدة والعراق لإنعاش وبناء علاقات ثنائية أوسع. لقد سعى الكثير من اسلاف السوداني الى تحقيق نفس الأهداف, كل منهم تحت ظروف معينة مختلفة, ومحققين بعضا من النجاح ولكنهم لم يخلقوا درجة من الزخم الكافي في هذا المجال. ان تغير الزمان ودعم الإطار التنسيقي الى زيارة السوداني وحرصه الشخصي يمكن ان يقدم فرصة كبيرة للنجاح غابت خلال الفترات المنصرمة. الا ان الكرة لا تزال في ملعب العراق لخلق الظروف التي ستجعل من البلاد بيئة جاذبة للشركات

الامريكية للعمل والاستثمار في العراق بشكل امن. وسيستدعي الامر أيضا استمرار اظهار الولايات المتحدة لتفهمها بان التغير في العراق يأخذ وقتا وبان دعم الولايات المتحدة سيبقى جوهريا. كذلك ان تحسين منظومة الحكم وتقليص الفساد على وجه التحديد وخلق مناخ جاذب للاستثمار هي أمور أساسية.

كما هو الامر مع المانيا واليابان وفيتنام, من الممكن ان يطوي العراق صفحة تاريخ الحرب نحو مستقبل الشراكة الاستراتيجية مع الولايات المتحدة والتي قد تعود بالنفع على الامتين وتخدم مصالحهما الدبلوماسية والاقتصادية والأمنية والتكنلوجية والشعبية المختلفة

التوصيات والملاحظات:

- هناك تخوف في أوساط صنع القرار الامريكي ولاسيما في مؤسسة الامن القومي ومجتمع الاستخبارات وغيرها من الانسحاب الكامل من العراق، وبالمثل ايضاً هناك مخاوف من ان هذه القوات تمثل اهدافاً سهلة للجهات المناهضة لها.

- ان الانسحاب الكامل من العراق أمر مستبعد لانه يتعارض مع المصالح الامريكية في المنطقة وهذه المصالح قائمة قبل ظهور تنظيم داعش الارهابي وتستمر بعده (الذريعة التي تنادي بها الولايات المتحدة لبقاء القوات).

- اكد التقرير على أنه لدى الولايات المتحدة خيارات عديدة في حالة الانسحاب الكامل. كما المح ان الانسحاب الكامل لايعني ان الولايات المتحدة ستفقد نفوذها او تاثيرها في تطورات الاحداث في العراق.

- لابد من التأكيد على أن أي اتفاق مع الولايات المتحدة غير ملزم لها بعبارة أخرى ان الرئيس القادم لن يجد نفسه ملزماً باي اتفاقية وبامكانه التنصل عن التزاماتها، اذا ما دعت الضرورة لذلك.

+9647905400123
Head@hewariraq. com